السامية المضبّبة

الساميون (Semites) (Semitic peoples)، نسبة إلى سام الابن الأكبر لنوح عليه السلام، ويشمل المصطلح: شعوباً مثل «الآشوريين والبابليين والآراميين، والكنعانيين والفينيقيين والعموريين والمؤابيين والأدوميين، والعمونيين والعبرانيين وجزء كبير من سكان أثيوبيا» ومن هنا يتبيّن أن العرب ساميون.

غير أن الخلاف جار في الوطن الأصلي للساميين، وقد ذهب العلماء في ذلك مذاهب عدداً وطرقاً قدداً.

فمن قائل أن أرضهم الأصلية هي جزر المتوسط إلى قائل أنها شبه الجزيرة العربية، وثالث أنها شمال أفريقية، وغيره العراق وخامس أنها بلاد الأموريين شمال سورية.

غير أن الذي يجب أن نبرزه هنا هو أنّ هذه التسمية مصنُوعة ولقد ظهرت لأول مرة عام (١٧٨١م) على يد عالم اللاهوت الألماني النمساوي شلوتزر «Schlozer»، فقد عمل شلوتزر هذا على صياغة النظرية السامية التي تطلق على مجموعة الشعوب التي عاشت من المتوسط إلى الفرات ومن العراق إلى بلاد العرب والتي كانت تتكلم لغة واحدة تسمية «الساميين». يقول: «من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن أرض الرافدين حتى بلاد العرب جنوباً سادت كما هو معروف لغة واحدة، ولهذا كان السوريّون

والبابليون والعبريون شعباً واحداً، وكان الفينيقيون «الحاميون» أيضاً يتكلمون هذه اللغة التي أود أن أسميها اللغة السامية».

إن كلمة «أودّ» التي جاءت في سياق كلام شلوتزر تدل على أن الأمر لا يعدو أن يكون اصطلاحاً تلفيقياً.

«وقبل القرن الثامن عشر الميلادي لا تذكر المصادر التاريخية العالمية كلمة الساميين» فاللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والهندية والصينية والسلافية وغيرها من اللغات لا تذكر كلمة سام أو حام أو يافث في جميع فروع آدابها[1].

إنّ هذا يعني أنّ العرب واليهود ينضوون تحت اسم واحد محدث وهو «السامية»، وواضع هذه التسمية هو من يقول بذلك، غير أن الذي حدث بعد ذلك أن اليهود أرادوا الاستئثار بهذا الاسم فتسموا «بالساميين» وعدوا العرب والمسلمين أعداء للسامية، وهو ما يعني أن الكلمة قد أخذت معنى جديداً عند اليهود هو غير المعنى الذي أشار إليه الأب الأول للكلمة أعني شلوترز.

غير أن دراسات كثيرة عربية وإسلامية طاردت الاسم المسلوب حرصاً على استبقائه جامعاً، ينعم به العرب مع اليهود.

وكانت تهمة «معاداة السامية» بداية لتشكّلات هامّة حول اللفظ الأساسي.

(١) «النظرية السامية مؤامرة استعمارية وصهيونية على العرب» لنعيم فرح. ص ٢٤.

إنّ الحرص على التسمية وتكريس الكثير من الجهد للمحافظة عليها بحسب ما يوفر وجود العرب ضمنها، يعدّ ضُعْفاً، فلماذا تحرص هذه الأمة دائماً على أن تكون في موقف المدافع حتى في حرب المصطلحات؟!

إن كلمة السامية الأصلية مجرد اختراع حادث وبالتالي فهي لا تعنينا أكثر مما تعنينا أسماؤنا المميزة ـ ثمّ أن تبلور الاسم عند اليهود وأخذه بُعداً سياسياً يجعل من الواجب علينا تصوير المعنى الجديد بصورته المحصورة والتي تعني فكرة «شعب الله المختار»، وآنذاك لن تكون تهمة معاداة السامية بالحجم الذي هي عليه مع اعتبار معناها القديم.

ثم إنّ أغلب اليهود ليسوا ساميين، ولا ذوي أصول يهودية، بل هم من الذين اعتنقوا اليهودية في إطار موجة الاعتناق الكبرى في القرن الثالث عشر، وقصّة «مملكة الخزر» التي اعتنقت الديانة اليهودية مع حاكمها وقادتها معروفة، والخزر ليسوا يهوداً أصْلاً، بل هم شعب خليط من العنصر التركي الفنلندي Turko-Finnish، وقد قامت مملكتهم في القسم الجنوبي من روسيا بين نهر الفولغا والدّون، وامتدت حتى شواطئ البحرين، الأسود وقزوين، وعُرفت بالمملكة الخزرية Kingdom of Khazaris، وكان عليها ولاة يحملون لقب «الخاقان» Khagan، لهذا السبب يقول الكاتب اليهودي «ألفريد ليلنتال»: والآن كيف يمكن لأيّ يهودي الإدّعاء بأنه ينحدر مباشرة من أولئك اليهود الأقدمين الذين سكنوا يوماً من الأيام الأرض المقدسة؟!!... واستناداً إلى هذه الحقائق التاريخية، فإن وايزمن وسيلفر ينحدران بأصلهما من سلالة الخازاريين، الذي كانوا وثنيين قبل أن يعتنقوا اليهودية، واستناداً إلى دراسات علماء الجنس البشري، يمكننا أن نؤكّد أن

اليهود حيثما وجدوا، فإنما هم يشابهون الأشخاص الذين يعيشون وإيّاهم في بيئة واحدة، ولهذا فليس هناك ميزة مشتركة تربط بين يهود العالم، وفي رأي العلامة «فانيسبرغ» إن هناك طابعين مشتركين بين اليهود، البشرة السمراء والأنف المدبّب، وهاتان الميزتان، تختصان باليهود القاطنين في حوض البحر المتوسط، أما اليهود الذين يسكنون شرقي أوربا، والمعروفون بالجنس «الترتري ـ الخازاري» فهم يتميّزون بالأنف الغليظ واللون الأشقر..[1]

إن ادعاء اليهود للسامية ادّعاء لا تقف وراءه حجة علميّة ولا دَليل مُحترم وهو يدل على مأزق الانتماء الذي يتخبط فيه هؤلاء، فهم كاللّقيط الذي يجتهد في البحث عن أب، وحين يدّعي البنوّة لشخص ميت مُنقطع مهما كان خسيساً، فإنه لن يقبل التنازل عنه بعد ذلك مهما كان.. لأنّ خساسة الأب أخف من فجور الأمّ.

(١) ص ١٧٦ ــ ١٧٨ ــ ١٧٩ من «ثمن إسرائيل» لألفريد ليلينتال.